حكايات صينية

٢

القفاز السحرى



دار المعارف بمصر

حكايات صينية

مجموعة من الحكايات الشائقة اللطيفة التى تصور للناشئة العربية بلاد الصين وأخلاق أهليها وجوانب من معايشهم ومجتمعاتهم ونوادرهم ولطائفهم .

● صدر منها :

٦ قروش ج . ع . م	٦٠ فلساً فى العراق والأردن	٨٤ فرنكاً فى المغرب
٤٨ ق . ل	٦٠ فلساً فى الكويت	٠,٧٢ ريالا سعودياً
٦٠ ق . س	٧٢ مليماً فى تونس	١,٢ شلنا } فى البلاد
٦٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٨٤ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٧ دولاراً } الأخرى

حكايات صينية

٢

القفاز السحري

للأساتذة

محمد أحمد برانق — حامد محمد سليمان

تان سومين

湯書民

الطبعة الثانية



دار المعارف بمصر

١٩٦٥

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

١

فى مدينةٍ صغيرةٍ عَلَى سفْحِ جبلٍ عَظيمٍ مُجاورٍ لشاطِئِ البحْرِ عَاشَ خَياطٌ شَيخٌ كانَ أَعْظمَ خيَّاطٍ فى هذه المدينةِ ، وكانَ لدَى هذا الخيَّاطِ فتًى لم يُكْمِلِ العِشْرينَ منْ عُمْرِه ، جاءَ ليتعلَّم الْخِياطَةَ .

تقدَّمَ النهارُ ، وارتفعتِ الشمْسُ فى السَّماءِ ، ولكنَّ الفَتَى لم يَسْتيقِظْ بعْدُ ، وسقَطَتْ أَشِعّةُ الشَّمسِ على عَيْنَيْه مُدَّةً طويلة حتَّى استيْقظَ ، ونهضَ من الفِراشِ فى مَلَل، وتناوَلَ مِقَصًّا ، وجَذَبَ قِطْعةً من القُماشِ ، وبدأَ يقُصُّ . . . وأَعمل

الفتى مِقَصّه مدةً طويلةً ، ولكنْ دونَ أن ينتهى إلى نتيجةٍ .

وبدأَ الخيّاطُ الصَّغيرُ يُفكِّرُ فى أشياءَ صَغيرةٍ :

متَى أَستطيعُ أن أَتعلَّم هذهِ الحِرْفةَ ؟ !

غَدًا أو بَعْدَ غدٍ ؟ الأَفْضَل أن أَعْرِفها بعْدَ غدٍ . . . كلَّا . . . بلِ الأَفْضَلُ أن أَعْرِفها غدًا ! بعد غدٍ بعيدٌ جدًّا !

ثمَّ نهَضَ ومضَى نحوَ الخيَّاطِ الكبيرِ . . .

إنَّ الخياطَ الكبيرَ قدْ هَرِمَ ، وأَصْبحَ النَّاسُ فى المدينَةِ يتَحَدَّثونَ :

لقدْ أَصْبحَ الخيّاطُ الكبيرُ مثلَ ورقةِ الشَّجرِ الصَّفْراءِ فى أَواخرِ الخريفِ قدْ تُسْقِطُها أَرقُّ نَسمَةٍ !

وكانَ الخيّاطُ الشَّيخُ يُحِسُّ هذا جَيِّدًا ، ولِذَا كانَ يجِدُّ فى البَحْثِ عَمَّنْ يَخلُفُه .

كانَ الخياطُ الكبيرُ يضَعُ على عَيْنيه مِنْظَارًا قديمًا ، وقد انحنى فوْقَ آلة الخياطَةِ ، وفيما كانَتِ الآلةُ (تُكَرْكِرُ) رفعَ رأْسَهُ فرأَى الخيّاطَ الصغيرَ قادِمًا ، فَسأَله :

ماذا تُريدُ ؟

أَجابَ الخيّاطُ الصَّغيرُ :

أُريدُ أن أَعْرِفَ : مَتى أَسْتطِيعُ أن أَصْنعَ الملابِسَ ؟ !

أَجابَ الخيّاطُ الشَّيخُ فى رِقَّةٍ :

يا وَلَدِى الطيِّبَ ! لا تَكُنْ عَجولًا . لقدْ أَتيْتَ مُنْذُ أَيَّامٍ قليلَةٍ ! لنْ تتعلَّم أَوَّلًا خِياطَةَ

الملابِسِ ، بلْ يجِبُ أَن تتعلَّمَ أَوَّلًا كيْفَ تشْعِلُ النَّارَ للْمِكواةِ ، وأَنْ تفتَحَ الدُّكَّانَ فى الصَّباحِ الباكِرِ ، وأَن تكنُسَ بقَايا الأَقْمِشَةِ والخُيوطِ ، وكيفَ ترْعَى العُملاءَ ... وعِنْدما تتعلَّمُ هذه الأَشياءَ جَيِّدًا أَسْتطيعُ أَن أُعلِّمك كيفَ تصنعُ الملابِسَ ، وتأَكَّدْ أَننى سأُعَلِّمك كلَّ ما أَعْرِفُ ، لِتَكونَ خيَّاطًا عَظِيمًا مَشْهُورًا ! تذكَّرْ أَنَّ الطائرَ الصَّغيرَ الذى لم يكْتمِلْ نموُّ ريشِه لا يَسْتطيعُ أَن يطِيرَ !

فكَّرَ الخياطُ الصغيرُ :

يا إِلٰهِى ! كيف يكونُ ذلكَ ؟ ! سأَمُوتُ لِقِلَّة صبْرِى !

٢

ذَهبَ الخيّاطُ الصَّغيرُ إلى منزلِ أَحد العملاء لِيُسَلِّمهُ ثَوْبًا ، وفى طريق عوْدته رأَى قطةً صغيرةً ... كانتِ القِطَّةُ لَطِيفةً ، وشَعْرُها مُرَقَّشٌ برسُوم صفراء تُشْبِه الورْدَ ، وسأَلَتِ القِطَّةُ الْخَيَّاطَ الصَّغِيرَ :

لماذا تَبْدُو كَئِيبًا ؟ مَا الذى يَحزُنكَ ؟ !

تَنهَّدَ الْخَياطُ الصَّغيرُ ، وقال :

أُرِيدُ أَن أَعْرِفَ حالًا كيفَ أُفَصِّلُ الملابِسَ وأَخِيطُها ، لكنَّ الْخَياطَ الكبيرَ قالَ ...

وقاطَعته القِطَّة الصَّغيرَةُ :

حَسَنًا ! لا تهتمَّ بما يقولُهُ الْخَياطُ الشيْخُ !

أنا أفهمُ أحاسِيسَكَ ! إنكَ لسَعيدُ الحظِّ لأنك قابلْتنى هُنا !

وسأَلَ الْخيّاطُ الصّغيرُ فى لهْفَةٍ :

هلْ تَسْتَطيعينَ مُساعَدَتى . . . بأَىِّ طريقةٍ ؟

وأجابتِ القِطةُ :

نَعمْ ! استمعْ إلى ما أقولُ :

سِرْ من هُنا إلى الجنوبِ ، ثمّ اتَّجِه غرْبًا ، ثم دُرْ نحوَ الشَّرْقِ. ستَجِدُ تَلاًّ . . . هذا التلُّ تنْمُو عليه الكُمِّثْرَى فى الرَّبيعِ ، وتَكْسُوهُ باللَّوْنِ الأَبْيَضِ ؛ وفى الْخَريفِ تَنْضَجُ الْكُمِّثْرَى ، ويُمْكنُكَ أن تَشُمَّ رائِحتها على بُعْدِ عشْرَةِ أمْيال . على هذا التَّلّ تَسْكُنُ فتاةٌ تلْبَسُ رِداءً ذَهبيًّا ، وإلى جِوارِها يَنْبوعٌ ماؤُهُ سِحْرِىٌّ !

إذا رَشفَ الإِنْسَانُ رَشْفةً واحِدةً من هذا اليَنْبوعِ يصِيرُ ذَكِيًّا ، ومَهْما كانَ العمَلُ صَعْبًا فإنه يستطيعُ القِيَامَ بهِ ، وفى حرْفَتِكَ هذهِ يكُونُ لهذا الماء نفسُ النتيجةِ !

مَضى الْخَياطُ الصغيرُ وهو يَشْعرُ بالسّعادة ؛ وكانَ يقْفِزُ فى الطريقِ ويَنُطُّ ويقُولُ :

حَسَنًا ! حَسَنًا ! سأَذْهَبُ حالًا للْبَحْثِ عن الفتاةِ ذات الرِّدَاءِ الذَّهَبىِّ .

٣

كانَ الخيَّاطُ الصَّغيرُ يسيرُ مُسرعًا ، وهُوَ يَترَنَّمُ بأُغنِية ، ولَم يَكُن يَسْتطيعُ أن يَضْبِطَ عواطِفَهُ ، كان يُغَنِّى ويقفِزُ ، ويدورُ حَوْلَ نفسِه تارةً ، ويمْشى على يَدَيْه تارةً ورِجْلاه إلى أَعْلَى ، ويَضْحكُ بصوْتٍ مُرْتفِع ويُفكِّرُ :

مِن هُنا إلى الجَنوبِ ، ثم إلى الغرْبِ ، ثمَّ إلى الشرْقِ . . . ! اَلْكُمِّثْرَى النَّامِيَةُ على التَّلِّ . . . اَلْفتاةُ ذاتُ الرِّداءِ الذهبىِّ . . . اَلْيَنبوعُ السِّحرىِّ . . . !

ثمَّ يقولُ بِصَوْت مُرتفِعٍ :

سأَجِدُ الفتاةَ ذاتَ الرِّداءِ الذَّهبىِّ فوْرًا . . .

سأَشرَبُ الماءَ السِّحرىَّ فوْرًا . . .

وأَستَطيعُ أن أُفَصِّلَ الملابِسَ وَأَخِيطَها فَوْرًا . . .

ثمَّ يُقَهْقِهُ مرةً بعدَ أُخْرى . . .

كانَ الخيَّاطُ الصَّغيرُ يَضْحكُ بشدَّة حتَّى سالَت الدُّموعُ مِن عَيْنيْهِ ، وصَرَفَتهُ السَّعادَةُ الغامِرَةُ والفَرَحُ الشديدُ عَن أَنْ يَرْقبَ الطَّريقَ ، فاصطَدَمَ بِشَىْءٍ وسقطَ على الأَرْضِ .

لقَدْ كان هُناكَ حَجرٌ أَحْمَرُ صَغيرٌ فى وَسَطِ الطَّريقِ ، وقالَ الْخَيّاطُ الصَّغيرُ غاضبًا :

أَهذا أنتَ ؟ !

وَتَحفَّزَ لِيَرْكُلَ الحَجَرَ الصَّغيرَ بقدمِهِ ، وَقبْلَ أَن يَرْكُلَه بَدَأَ الحجرُ يَتَدَحْرَجُ وَحدَهُ .

نَظرَ الخيَّاطُ الصَّغيرُ إلى الحجرِ مَدهُوشًا ، وَفَجْأَةً قفزَ الحجرُ الصَّغيرُ . . .

حَكَّ الخيّاطُ الصغيرُ عَيْنيْهِ ، فاغِرًا فاهُ ، وَصاحَ :

آه . . . آه . . . آه . . .

كَيْفَ يَسْتطيعُ أن يمنَعَ نفسَه مِن الصِّياحِ ؟!

لقد انْقَلبَ الحجرُ الصغيرُ الأَحْمَرُ شَيْخًا باسمًا .

كانَ هَذا الشَّيخُ يَرْتَدِي رِداءً أحمرَ زاهِيًا مُبَطَّنًا بالقُطن ، وكانتْ لِحْيَتُهُ أَشَدَّ بَياضًا مِنَ الثَّلجِ . . .

وَقَالَ الخَيّاطُ الصغيرُ :

مَنْ أَنْتَ ؟ !

أَجابَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَتَحَسَّسُ لِحْيَتَهُ :

هَلْ تَسْأَلُنى ؟ إن الناسَ يُسَمُّونَنى الرجُلَ الذى يُحِبُّ التدخُّلَ فى شُئونِ الآخَرِينَ .

قالَ الخَيّاطُ الصَّغيرُ :

وَدَاعًا أَيها الشَّيْخُ !

وَتأَهَّبَ لِلْجَرْىِ ، وَلَكِنَّ الرجُلَ مَدَّ يَدَهُ وَأَمْسكَ الخَيَّاطَ الصَّغيرَ وَقالَ لهُ :

لِمَ هَذه العَجَلةُ ؟ !

أَجابَ الخَيّاطُ الصَّغيرُ ، وهُو يَمْسَحُ العَرَقَ عن رأْسِه :

دَعْنِى أذهَبْ ! دَعْنِى أَذهَبْ ! إِنَّنِى مَشغولٌ ! أُريدُ أَنْ أَتَعلَّمَ فَوْرًا كَيف أُفَصِّلُ الملابسَ وَأَخِيطُها ؟ يجبُ أَن أَذهَبَ للبَحْثِ عنِ الفتاةِ ذاتِ الرِّداءِ الذَّهبِىِّ . . . !

تَركَ الرَّجُلُ الخَيّاطَ الصَّغيرَ ، وقَالَ لهُ :

أَيْنَ تَبْحَثُ عنِ الفتاةِ ذاتِ الرِّداءِ الذهَبى ؟

ولَمْ يُجِبِ الخيّاطُ الصغيرُ ، وانْطلقَ مُسرعًا كالدُّخَانِ ، فَصاحَ الرجُلُ خَلْفَهُ — والخَيّاطُ الصغيرُ يجرى بعيدًا بعيدًا :

إذا لَم تَسْتَطعْ أَن تجِدَ الفَتاةَ ذاتَ الرداءِ الذهَبى ، وإذا لم تَسْتطعْ أَن تجِدَ اليَنبوعَ السحرىَّ ، فعُدْ إلىَّ فإنى أَستطيعُ أَن أُساعِدَكَ !

٤

أَشجارٌ . . . ! أَشْجارٌ . . . ! أَشْجارٌ . . . ! كم منَ الأَشجارِ فى هذه الغابةِ ؟ أَشجارُ صَنَوْبَرٍ حَمراءُ ! سَنْط ! حُور ! إنَّ المكانَ يَزْدحِمُ بالأَشجارِ فى غَيْرِ نِظامٍ . . . وهكذا فَقَدَ الخَيَّاطُ الصغيرُ طَريقَه .

تَصَبَّبَ جَبينُ الخَيَّاطِ الصغيرِ عَرَقًا ، وانتَشَرَتْ حَبَّاتُ العَرَقِ على وَجهِه كاللُّؤْلؤ فانحنى يتبيَّنُ الطَّريقَ فى حِرْص ، ومَزَّقت الأَغصانُ المتشابِكةُ ثيابَه ، وكان عليه أَنْ يَشُقَّ له طَريقًا بين هذه الأَغصانِ ، وجَرَحَت الأَعشابُ البَرِّيةُ وجْهَه ، وأَخَذَ يَمْسَحُ عن وَجْهِه الدِّماءَ بيدَيْه .

ما أَجْمَلَ هذه البلابلَ! ولكنه لم ينظُرْ إليها .

ما أَعذَبَ تغريدَ السُّمانَى ! ولكنه لم يستطعْ أَنْ يَسْمعَ شيئًا .

شىءٌ واحدٌ كان يَشْغَلُ بالَه : أَنْ يَبحثَ عن الفَتاةِ ذات الرِّداءِ الذَّهبىِّ !

لقدْ كان يرغَبُ رَغْبةً قَوِيَّةً فى الْخُروجِ من الغابة ، لكنه لا يستطيعُ . . . لقدْ ضلَّ الطَّريقَ !

ماذا يستطيعُ أَنْ يَفعلَ ؟

وارتَفعَ حَفيفُ الأَعشابِ البَرِّيَّة ، وفجأَةً اندفَعَ منْ بيْنِ الأَعشابِ سِنجَابٌ صَغيرٌ يَهُزُّ ذَيلَه !

قال الخيَّاطُ الصغيرُ :

أَخى السِّنجَاب ! أُريدُ أَنْ أَذهَبَ إِلى الجَنوب ، إِلى التَّلِّ الذى تُغطِّيه الكُمِّثْرَى ، فكم يَبعُدُ عن هُنا ؟ أَرْجو أَن تُرْشِدَنى إِلى الطَّريقِ !

هَزَّ السِّنجَابُ رأْسَه وقال :

قِفْ ! قِفْ يا سيِّدى العزيز سريعًا ! عُدْ من فَضْلِك ! إِذا استطعت أَن تَسيرَ تسعةً وتسعين لِى — أَىْ أَكثرَ من ثلاثين كيلومترًا — فى اليوم ، فافعلْ حتى تَصِلَ إِلى هُناك ! أَمامَك تِسْعةٌ وتِسْعون جَبلًا يجبُ أَن تتجاوَزها ، وتسعةٌ وتِسْعون نهْرًا كبيرًا عليك أَن تعبُرَها ! . . .

كانتْ أَهدابُ الخيَّاطِ الصغيرِ تتحرَّكُ مع كلِّ كلمةٍ نَطقَ بها السِّنجَابُ . . . وشَعَرَ الخيَّاطُ الصغيرُ بالْخَوْفِ .

إنّه لم يُفكِّرْ قطُّ أنه ما زالتْ هُناك عقَباتٌ تعترِضُ طَريقَهُ حتى يَصِلَ إلى الفَتاةِ ذاتِ الرِّداءِ الذَّهَبيِّ.

هذا مُستحيلٌ! لقدْ ضاعَ أملُه فى إتمامِ الرِّحْلة!

واسْتدارَ وعاد مِنْ حيْثُ أتَى. وبينما هو يَسِيرُ قال لنفْسِه:

حَقًّا! إننى غَبِىٌّ! حَقًّا إننى غَبِىٌّ! مِنْ حُسْنِ الحظِّ أنْ قابلْتُ هذا السِّنجَابَ!

٥

ما إنْ خَرج الخَياطُ الصَّغيرُ منَ الغابةِ حتَّى لَقِيَ مرَّةً أُخرَى الرَّجلَ الذى يُحبُّ التَّدَخُّلَ فى شُئُونِ النَّاس.

وقال الشَّيخ:

تَعالَ إلَى بَيْتى! سأُساعدُك!

سأَل الخيَّاطُ الصغيرُ:

أينَ تَذْهبُ؟

أَشار الرجُلُ إلى شجَرةِ بَرْقوقٍ ضخْمةٍ، وقال:

هٰذا بَيْتى!

ثم دَفَع الرجُلُ الشيخُ ساقَ الشجَرةِ بِرِفق، فَسُمِع صَريرٌ انفتحَ بَعدَه مِصْراعانِ ذَهَبيَّان

تَنبَعِثُ منهما أَشِعَّةٌ مُتَلَأْلِئة ، وفاحَت رائحةٌ ذَكِيَّة .

تَبع الخيَّاطُ الصغيرُ الرَّجلَ الشَّيْخَ ، وفى داخلِ البيتِ كانتْ هُناك نافِذَةٌ زُجاجِيَّةٌ كَبيرةٌ شَديدةُ اللَّمَعان ، وكانت الأَرْضُ مَطلِيَّةً لامِعَة ، وعلَى الجُدْرانِ لَوْحاتٌ من الحريرِ الأَزْرقِ المُطَرَّزِ وهُناك زَهرِيَّاتٌ فيها أَزهارٌ كبيرةٌ حَمراءُ . وجَذَب الشيْخُ مَقعَدًا قَدَّمهُ إلى الخياطِ الصغيرِ لِيَجْلسَ ، وكان ظَهْرُ المَقعدِ مَصنوعًا من العَاجِ المَحْفورِ ، وعلَى المِنْضَدةِ المغطَّاةِ بِالمُخْمَلِ الأَخْضرِ وُضِعتْ أَكْوابٌ بَلُّورِيةٌ ، مملوءَةٌ بِشايٍ فى لَونِ الذَّهبِ .

وسأَل الشيْخُ الخَياطَ الصغير :

فى أَيِّ شَيْءٍ تَحتاجُ إلى مُساعَدَتى ؟

أَجابَ الخياطُ الصغيرُ :

ساعِدْنى على تَعَلُّمِ الخِياطةِ !

قال الشيْخ :

هَذا يَسِيرٌ ! هذا يَسير !

ثمَّ تَناوَل الرَّجُلُ مِفْتاحًا كان على المِنْضَدةِ وفَتح حَقِيبة جِلديَّةً حَمراءَ ، ثم أَخرجَ منها حَقيبةً أُخْرَى خَضراءَ ، ووَضَعها على المِنضَدةِ ، ثم قال لِلْخَياطِ الصغيرِ :

الآنَ سأُساعِدُكَ ، ولكِنْ هُناك شَيئًا يَجِبُ أَن أُخبِرَك بِه ، هوَ أَنَّنى لا أُساعِدُ الشَّخْصَ الواحدَ غَيرَ مرَّةٍ واحدة فَقطْ !

قال الخيَّاطُ الصغيرُ بِسُرْعة :

مرّةٌ واحدةٌ تَكْفى .

فتَح الرجُلُ الحَقيبةَ الْخَضْراءَ ، وكان فى داخلِ هذِه الحَقيبةِ زَوْجان مِن القُفَّازات أَحدُهُما أَبْيَضُ والآخَرُ أَصْفرُ .

أَشار الرّجُلُ إلى القُفَّازَيْنِ قائلًا :

عِندَما تَلبَسُ القُفّازَ الأَصفرَ تَستطِيعُ أَن تَعمَلَ ما تَتَعلمُ ولا تَنساهُ أَبدًا وكأَنّهُ قد حُفِرَ فى ذاكِرَتِك . وإذا لَبِستَ القُفَّازَ الأَبيضَ فلَنْ تَحتاجَ إلى أَحدٍ يُعلِّمُك ، وكذلك تستطيعُ أَن تَخيطَ وَحدَك ، وزِيادةً على هذا فإنَّ عَملَك يَكُونُ أَفضَلَ مِن عمَلِ أَىِّ إنسانٍ آخرَ ! شَىْءٌ واحدٌ فقطْ أُحبُّ أَن أُنَبِّهَك إلَيه ، هوَ أَنه إذا لم يَكُن مَعك القفّازُ لا تستطيعُ أَن تَصْنعَ شيئًا !

لمْ يَنتَظِرِ الخيّاطُ الصغيرُ حتى ينتهىَ



قال الخياط الصغير بسرعة : مرة واحدة تكفى

الرَّجلُ منْ كلامِه ، بلِ اخْتَطَفَ القُفَّازَ الأَبيضَ وأَخَذَ يَقفِزُ ويَصِيحُ مَسرورًا :

أُريدُ القُفَّازَ الأَبيضَ ! أُريدُ القُفَّازَ الأَبيضَ !

قالَ الرَّجلُ :

تذكَّرْ أَنى لا أَستطيعُ أَنْ أُساعِدكَ غيرَ مَرَّةٍ واحدةٍ فقطْ !

فأَجابَ الخَيَّاطُ الصَّغِيرُ :

أَعْرِفُ ذلك ! يكفى أَنْ أَحْصُلَ على هذا القُفَّازِ الأَبيضِ !

فقالَ الشَّيخ :

خُذْهُ ! هذا ليس قُفَّازًا عاديًّا ! هذا قُفَّازٌ سِحْرىٌّ ! أَرْجو أَنْ يأْتيَكَ هذا القُفَّازُ السِّحْرى بالسَّعادةِ .

٦

عَادَ الخَيَّاطُ الصغيرُ إلىالدُّكَّانِ مَرَّةً أُخْرى ، وَما إنْ رآهُ الخَيَّاطُ الشَّيخُ حتى أَلْقى بالْقُماشِ من يَدِه وجَذَبهُ قائلًا :

يا وَلَدِى الطَّيِّبَ! لقدْ شَغلْتَنى إلى حَدِّ الموْت! إذا أَردتَ أَنَّ تتَغَيَّبَ – بعدَ الآن – أَرجُو أَنْ تُخْبِرَنى بأَيَّةِ طَرِيقة !

أَجابَ الخَيَّاطُ الصغيرُ فى عجْرَفةٍ ، ويَدَاهُ فى القُفَّازِ الأَبيضِ :

لماذا يجبُ أَنْ أُخبِرَك ؟ !

قالَ الخيّاطُ الشَّيخُ :

أَنا مُعلِّمُكَ !

أَجابَ الخيّاطُ الصغيرُ :

مَاذا عَلَّمتَنى حتى الآنَ ؟ !

فتَقَبَّضَتْ أَسارِيرُ الخَيَّاطِ الشَّيخ ، وَنظَرَ إلى الخيَّاطِ الصغِيرِ منْ أَعْلى إلى أَسْفل ، ثُمَّ قالَ :

لا تكُنْ مُتعَجِّلًا هكذا . . . سَأَبْدَأُ فى تَعْلِيمِكَ اليومَ . . . أَنَا واثِقٌ أَنَّنى سأَجْعلُ مِنكَ خَيّاطًا ماهِرًا !

فقَهْقَهَ الخياطُ الصغيرُ وقالَ :

لا أُرِيدُ أَنْ أَتعلَّمَ مِنكَ ! أنا أَستطِيعُ أَنْ أَصْنعَ الملابِسَ مُنذُ طفولَتى ! أنا الآنَ فِعْلًا خيّاطٌ عظيمٌ ! أَلا تُصَدِّقنى ؟ ! تعالَ من فَضلك ! سأَعْمَلُ الآنَ ثَوْبًا لكَ !

ولَمْ ينتظِرْ مُوافقةَ الخيّاطِ الشَّيخ ، بل تناولَ مِقَصًّا ، وَأَخذَ يترنَّم بأُغْنية وَهُو يَقُصُّ القُماشَ بِخفَّة ، وفى لَحَظات كانَ قدْ فَرَغَ من قَصِّ الثَّوْب ، ورَمَى بنَظَرِهِ نحْوَ الخيَّاطِ الشَّيخ ، ثمَّ جلَسَ إلى آلةِ الْخياطةِ وبَدَأَ يعملُ بِبَراعةٍ .

كُرْ كُرْ كُرْ . . . كُرْ كُرْ كُرْ . . .

لقَدِ انْتهَى الثَّوْبُ .

طَوَّقَ الشَّيخُ الخيّاطَ الصغيرَ بيَدَيْه ، وغَلَبهُ السُّرُورُ فلمْ يعْرِفْ ماذا يقولُ . وبعْدَ لَحَظات قالَ :

لمْ أَكُنْ أَظنُّ قَطُّ أَنكَ بعدَ عَملكَ عِنْدِى أَربعةَ أَيَّامٍ أَوْ خمسةً تستطيعُ أَنْ تَصْنعَ ثَوْبًا خيْرًا مِمَّا أَستطيعُ أَنْ أَصْنعَ !

وَقبْلَ أَنْ يمْضِىَ شهرٌ واحدٌ أَصبحَ الخياطُ الصغيرُ أَشهرَ خيّاطٍ فى المدينةِ .

كانَ يستطيعُ أَنْ يَصْنَعَ كلَّ أَنْوَاعِ الملابسِ ولم يَكُنْ هُناكَ شىءٌ لا يستطيعُ أَن يَصْنعه ، وكانَ الناسُ جميعًا يُحِبُّونَ أَنْ يصنعَ لهم ملابسَهُمْ وكانُوا يُسَمُّونه : الخَيّاط الذَّكىّ .

وَبَدَأَ الغُرُورُ يَتملَّكُ الخيّاطَ الصغير ، وَوَضعَ برنامجًا لعمَلِه :

[منَ السَّاعةِ الحادية عَشْرَةَ حتى الواحدة بعْدَ الظُّهْر]

وبعدَ الواحِدة كان يَقْضِى وَقْتهُ فى الرَّاحَةِ واللَّهْوِ وَالتَّسْلية ، وكثيرًا ما كانَ الخَيّاطُ الشَّيخُ يَنْصحهُ قائلًا :

لا يُمكِنُكَ أنْ تستمِرَّ على هذه الحال ! لا يُمكِنُكَ !

وكانَ الخيّاطُ الصغيرُ عنْدَما يَسْمَعُ هذا الكلامَ يَبْتَسِمُ فى بُرُودٍ ، وَيَقُولُ :

إنَّكَ لا تَفْهَمُ !

وكانَ يَقولُ فى نَفْسِهِ :

لِمَاذا أَخافُ ؟ إنَّ عِنْدِى قُفَّازِى السِّحْرِىَّ على أَيَّةِ حالٍ !

٧

كانَ الْخيَّاطُ الصغيرُ ينامُ فى فِرَاشِهِ الدَّافِئ ويَنظرُ إلَى السَّاعةِ فَوْقَ مِنضدتِهِ . . . السَّاعةُ الآنَ الحادِيةَ عشْرَةَ تمامًا . . . ونهضَ منْ سريرِه وغسَلَ وَجْهَهُ ، ولبِسَ ثِيابَهُ ، وتناوَلَ بَعضَ الطَّعامِ ، وأَصْبَحَ مُستعِدا لِلعمَلِ . ومَدَّ يَدَهُ لِيأْخُذَ الْقُفَّازَ السِّحرِىَّ منَ السَّرِيرِ . . .

يَاللهِ ! إنَّ الْقُفَّازَ السِّحرِىَّ قدْ قَضَمَتِ الفِيرانُ أَحدَ أَصابِعه !

غَضِبَ الْخَيَّاطُ الصغيرُ ، وفكَّرَ والقُفَّازُ فى يَدِهِ ، وقالَ لِنفسِه :

هُناكَ ثُقبٌ فى أَحدِ أَصابعِ القُفَّازِ ، فهلْ مازالت فيهِ القُوَّةُ السِّحرِيَّةُ ؟ آهْ . . . ماذا أَصنعُ ؟


يالله ! إن القفاز السحرى قد قضمت الفيران أحد أصابعه !

جذبَ الْخَيّاطُ الصغيرُ قطعةَ قماشٍ بيضاءَ ، وأراد أَنْ يَرْقَعَ بِهَا القُفَّازَ ، لكنَّهُ لم يَسْتَطِعْ أَنْ يُمْسِكَ الإبرَةَ ، فرجَا الْخياطَ الشَّيْخَ أَنْ يُصلحَ لهُ القفازَ ، ولٰكِنَّ القُفَّازَ لمْ يَعُدْ يَنفعُ . . لَقَدْ فَقدَ قُوَّتَهُ السِّحْرِيَّةَ !

أَحسَّ الْخَيَّاطُ الصَّغِيرُ بِالْبُرُودَةِ تَسرى فى قَلبهِ ، وانْحنَى عَلَى المنضدَةِ ، وَوَضعَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وبَدَأَ يَبكى وَيَنْشِجُ :

و و . . . ! و و . . . ! يان يان . . . ! يان يان . . . !

ودُهِشَ الْخَيَّاطُ الشَّيخُ وَسَأَلَهُ :

لِمَاذَا تَبْكِى ؟ ! هل أَنتَ مَرِيضٌ ؟ !

ولكنّ الْخَيَّاطَ لَا يجيبُ ، وَيَسْتَمِرُّ بُكاؤُهُ . . . وَيُكرِّرُ الشَّيخُ أَسئِلَتَهُ ، وَأَخذَ الشَّابُّ – من بينِ دُمُوعهِ – يَحكى قِصَّتَهُ كامِلَةً :

الْفَتَاةُ ذاتُ الرِّداءِ الذَّهبىِّ . . . ! الشَّيخُ ساكِنُ الشَّجرَةِ . . . ! الْقُفَّازُ السِّحْرىُّ . . . !

تَنَهَّدَ الْخيّاطُ الشَّيخُ فى تَأَثُّرٍ – عِنْدَما سمِعَ القصَّة – وصَمتَ فَتْرَةً طويلةً ، ثُمَّ قالَ :

حَسَنًا . . . ! حَسَنًا . . . ! امْسحْ دُموعَكَ الآنَ ، وابْدَأْ فى التَّعَلُّمِ مِنِّى ! أَنا أَضْمَنُ لكَ أَنْ تكُونَ خيّاطًا عَظيمًا إذاما عَزَمْتَ على التَّعلُّمِ ولَم تَخَفِ الْمَصاعِبَ ! ما قِيمةُ الْقُفَّازِ السِّحْرىِّ ، إذَا كانَ هذَا الْقُفَّازُ لَا يَسْتَطيعُ أَنْ يُقَاوِمَ عَضَّةَ فَأْرٍ ؟ !

وصَمتَ الْخيَّاطُ الشَّيخُ لحظَةً ، وأَخذَ يَمسَحُ بيَدِهِ علَى رَأْسِ الْخيَّاطِ الصَّغيرِ ، ثُمَّ قالَ : أَيُّها الشَّابُّ ! تَذَكَّرْ أَنَّه يجبُ أَن تَمشِىَ الطَّرِيقَ خُطْوَةً خُطْوَةً !

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٥

حكايات صينيّة

٢

القفّاز السِّحْرىّ



دار المعارف بمصر